حِبر أبيَض
WHITE INK

أ.د. حياة الرشيدي

حوادث من تاريخ السلطان محمد الثالث

هو الســـلطان العثماني الثالث عشر من سلاطين الدولة العثمانية، اعتلى السلطنة في سنة 1003 هـ هـ وتوفي في سنة 1012 هـ .

وحســـبما ذكر البكري فـــي كتابه ، وهو من أســـرة كبيرة عاصـــرت سلاطين الدولة العثمانية ، ومنهم أســـرته وشخصه لزمن الســـلطان ، يقول " : أنه قُتل في يوم ولايته المُلك جميع أخوته وكانوا تســـعة عشـــر ولداً أكبرهم مولانا الســـلطان مصطفى وكان عمره أربعة وعشـــرين سنة وأصغرهم دون الخمسة ســـنين ، وكان يوم خروجهم إلى الدفن يُفتت الكبود ، وبكت أهل اســـطانبول – هكذا كتبهـــا البكري - لهذه العبرة العظيمة". وهذه الرواية ليســـت الوحيدة من البكري كمعاصر لحكم الدولة العثمانية .

ويذكر كذلك أن عهد الســـلطان اســـتهله بفتن واضطرابات منها ، ومن بعد أن قتل إخوته أن الســـلطان كان له متصرفين يعملان عنده وهما أغا يدعى قزنفر ، أغا يدعى عثمان أغا - والمتصرفية هو تقســـيم إداري عثماني من المستوى الثاني، فكل ولاية عثمانية تنقسم إلى عدد من المتصرفيات، ويطلق على المتصرفية أيضا اسم سنجق أو لواء ، ويترأس المتصرفية موظف إداري يســـمى المتصرف يعين بأمر من الســـلطان – واضطرب أمر العساكر الرومية ، وقال البكري : " فتشوشـــت العساكر الرومية منهما فقاموا على حضرته الشريفة وذلك بإغراء – ويلاحـــظ هنا مدى التلاعب في إدارة الحكم والســـلطنة من أيامها الأولى – المفتي صنع الله أفندي ، وقالوا : لابد من قتل الأغتين المذكورين فسلمهما لأجل إخماد الفتنة فقُتلا " . ويظهر من النص السابق ملاحظات منها أن السلطان العوبة في يد العساكر ، ودورهم في السيطرة وأن يجعلوا من المفتي الذي سيطلق فتوى بقتلهما لإخماد فتنة ، وبكل بساطة تصدر الفتوى من المفتي صُنع الله !!؟؟ .

ومن الحوادث في عهده بعيداً عن الحروب والمعارك ، أنه في زمنه كان ناصف باشـــا متولياً مدينة حلب فعزله وولى ابن جنبلاط ، وهذا أمر طبيعي فهو الســـلطان وله الســـلطة ، ولكن حدث مالم يكن في الحســـبان من فعل ندم عليه الســـلطان غاية الندم وهو أنه حسبما ذكـــر : " ... ولى ابن جنبلاط ثم بعد ذلك ولى ناصف باشـــا عوض ابن جنـــبلاط ، فلم يُمكن ابن جنبلاط باشـــا ناصف من حلب ، فوقع بينهما النزاع الذي أدى بابن جنبلاط الى العصيان ، وأخذ قلعة حلب ، وادعى السلطنة ونهب جميع تجارها بحيث أنه أفقرهم" . ولم يكن للسلطان دور في اخماد تلك الفتنة ، والأحداث تتفاقم عليه.

والأدهى من ذلك وتتكرر أحـــداث القتل في البيت العثماني ، وكان الأمر يتعلق بابنه وكان قد بلغ الســـلطان عن ولده الســـلطان محمود بعض أمور تتعلق بالمُلك – هكذا يصف البكري الشـــخصيات وان لم تتولى الســـلطنة لكـــن بحكم أنها من الأب للابـــن – وما كان من السلطان الا أن ارسل في طلبه وأحضره وقال له " : مالك تدخل – هكذا كُتبت – في أمر المُلك فأجابه بجواب ما أرضاه فضربه والده مولانا الســـلطان محمد بخنجر فقتله ، وكان عمره نحو الثمانية عشـــر ســـنة ، وندم على قتله غاية النـــدم " . تلك نصوص من مؤرخ شـــهد له قاموا بتحقيق مخطوطات تطابق الروايات وان كان هناك زيادات يذكرها ويُعلق عليها بأنه كتبه بعد نسخة أو نسختين مثلاً .

ويظهر من بعـــض من الحوادث من خلال النصوص الســـابقة الذكـــر ما درج عليه سلاطين الدولة العثمانية مـــن خلال كتابات لمؤرخين عاصروا تلك الأحوال ونقلوها وكيف أن الســـلطان كانت ســـيطرة من حوله عليه مؤثرة ومنهم على ســـبيل المثال لا الحصر الشيخ المؤثـــر في تربية وتعليم الســـلطان محمـــد الثالث خوجة ســـعدالدين افنـــدي الذي اعتلى المناصب ، في عهد والده السلطان مراد الثالث وفي عهده .